الجامع وشيخ الفتيان

محمد بن عرفة وكان في قلبه نكتة من الغيرة من لدن اجتماعنا في المراني بمجالس الشيوخ فكثيرا ما كان يظهر شجوا في عليه وان كان اسن مني فاسودت تلك النكتة في قلبه ولم تفارقه ولما قدمت توفر اثاري على طلبة العلم من اهل اصحابه وسواهم يطلبون الافادة والاشتغال واسعفتهم بذلك فعظم عليه وكان يسر التعبير الى الكثير منهم فلم يقبلوا واشتدت غيرته ووافق ذلك اجتماع البطانة اليه فاتفقوا على شانهم في التالب علي والسعاية الي والسلطان خلال ذلك متحرز عنهم في ذلك وقد كلفني بالاكباب على تاليف هذا الكتاب لتشوفه الى المعارف والاخبار واقتناء الفضايل فاكملت منه اخبار البربر وزناتة وكتبت من اخبار الدولتين وما قبل الاسلام ما وصل الي منها واكملت منه نسخة رفعتها الى خزانته وكان مما يغرون به السلطان على قعودي عن امتداحه فاني كنت قد اهملت الشعر وانتحاله جملة وتفرغت للعلم فقط فكانوا يقولون له انما ترك ذلك استهانة بسلطانك لكثرة امتداحه للملوك قبلك وتنسمت ذلك عنهم من جملة بعض الصديق من بطانتهم فلما رفعت له الكتاب وتوجته باسمه انشدته ذلك اليوم هذه القصيدة امتدحه واذكر سيره وفتوحاته واعتذر عن انتحال الشعر واستعطفه بهدية الكتاب اليه وهي هذه

هل غير بابك للغريب مؤمل … او عن جنابك للاماني معدل
هي همة بعثت اليك على النوى … عزما كما شحذ الحسام الصيقل
متبوا الدنيا ومنتجع المنى … والغيث حيث العارض المتهلل
حيث القصور الزاهرات منيفة … تعنو لها زهر النجوم وتخجل
حيث الخيام البيض ترفع للقرى … قد عام في ارجائهن المندل
حيث الحمى للعز في ساحاته … ظل افادته الوشيج الذبل
حيث الرماح يكاد يورق عودها … مما تعل من الدما وتنهل
حيث الجياد املهن بنو الوغى … مما اطالوا في المغار واوغلوا
حيث الوجوه الغر قنعها الحيا … والبشر في صفحاتها يتهلل
حيث الملوك الصيد والنفر الالى … عز الجوار لديهم والمنزل
هم شيعة المهدي بل من شيعة التوحيد … جاء به الكتاب مفصل
بل شيعة الرحمن القى حبهم … في خلقه فسموا بذاك وفضلوا
شادوا على التقوى مباني عزهم … لله ما شادوا بذاك واثلوا
قوم ابو حفص اب لهم وما … ادراك والفاروق جد اول
نسب كما اطردت انابيب القنا … وانا على نسقه معدل
سام على هام الزمان كانه … للفخر تاج بالبدور مكلل
فضلوا الانام حديثهم وقديمهم … ولانتم ان فضلوا اعز وافضل
وبنوا على قلل النجوم وطرزوا … وابناك المعالي بعدها واطول
ولقد اقول لخايض بحر الفلا … والليل مزبد الجوانب اليل
ماض على غول الدجى لا ينثني … بها وذا ابل وذيال مشمل

متقلب

متقلب فوق الرحال كانه … طيف باطراف المهاد موكل
يبغي منال الفوز من طرق الغنى … ويروض مصعبها الذي لا يحمل
ارح الركاب فقد ظفرت بواهب … يعطي عطاء المنعمين فيجزل
ان من خلق كريم في الندى … كالروض حياه ندي مخضل
هذا امير المومنين امامنا … في الدين والدنيا اليه الموئل
هذا ابو العباس خير خليفة … شهدت له الشيم التي لا تجهل
مستنصر بالله في قهر العدى … وعلى اعانة ربه متوكل
سبق الملوك الى العلى متمهلا … لله منك السابق المتمهل
ولانت اعلى المالكين وان غدوا … يتسابقون الى العلاء واكمل
فاليس قد يا منكم بقديمهم … فالامر فيه واضح لا يجهل
دانوا لقومك بالقوم طاعة … هي عروة الدين التي لا تنفصل
سل بل تلمسان بها وزناتة … ومرين قبلهم كما قد ينقل
واسال بالاندلس مدا ابن ملكها … تخبرك حين استعصبت من يسهل
واسال بداعم اكشا وقصورها … ولعد تجيب رسومها من يسال
يا ايها الملك الذي في نعته … جل القلوب وفوق ما يتمثل
لله منك مؤيد عزماته … يمضي كما يمضي العضب المرسل
حيث الزمان بحيث اعضل خطبه … فانتزعته وهو اعضل
والشمل من اشتاته متصدع … وحمى خلافته مضاع مهمل
والخلق قد صرفوا اليك قلوبهم … ورجوا صلاح الحال منك واملوا
فجليته لما انتدبت لامره … بالباس والعزم الذي لا يمهل
ذللت منه جامحا لا ينثني … سهلت وعرا كان لا يتسهل
والناس من شوس العتاة وذدتهم … عن ذلك الحرم الذي قد حللوا
كانت لصولة صولة ولقومه … بعد وذويب بها وبسطوا المعقل
ومهلهل تسدي وتلحم في التي … ما احكموها بعد فهي مهلهل

المراد بصولة هنا صولة ابن خالد بن حمزة امير اولاد ابي الليل وذويب هو ابن عمه احمد بن حمزة والمعقل فريق من العرب من احلافهم ومهلهل هم بنو مهلهل ابن قاسم انظارهم واقيالهم واحياؤهم

ثم رجع الى وصف العرب

يجيب لايام لشانهم باد ون … قد خزنت بجمهم المطي الذلل
رضعوا العتاب على العماد وعندها … الجرد السلاهب والرماح العسل
في كل ظامي الترب متقد الحصى … تهوي به الجند الظما فتنهل
حجبل شواجم السراب ورزقهم … رمح يروح به الكمي ومنصل
حتى حلول بالعرا وذو نهم … قذف النوى ان يظعنوا او يقبلوا
كانوا يروعون الملوك بما بدوا … وغدت ترعى بالفخيم وتخضل
فبدوت لا يلوي على دعة … ولا ناوي الى ظلل القصور تبدل